

عوني فارس*

السلفية الجهادية في فلسطين

تسعى هذه المقالة لتسليط الضوء على ظاهرة السلفية الجهادية في فلسطين، فتبيّن أسباب نشوتها ومعتقداتها، وترصد مراحل تطورها وعوامل صعودها وضمورها، وتركز على أهم تنظيماتها ومواقفها المعلنة من خصومها في الداخل وأعدائها في الخارج ومساهماتها في المقاومة وعلاقتها بمثيلاتها العربية.

فضائه التاريخي المعروف، وإنما تتجاوزته إلى الجهاد ضد ما تُسمّيه بالطاغوت والجاهلية في كل مكان من الكرة الأرضية، والعمل على إقامة دولة خلافة عالمية، أي حكم الإسلام للعالم كافة.^١ كما تتبنّى صيغة جذرية لتقسيم البشرية على أساس ديني، مسلمين وكفاراً، إلاّ إنها توسّع معنى الكفر فتخرج جزءاً كبيراً من المسلمين من حظيرته. ويبدو البحث عن الدائرة الإسلامية الأوسع في الفكر السلفي الجهادي عملاً لا طائل منه، لأنها تضيق لتنحصر في أهل السنة والجماعة، وهذه الدائرة تضيق بدورها لتنحصر في الجماعة السلفية، كما تضيق هذه الأخيرة فيُستثنى منها السلفيون الموالون للنظام

* كاتب وباحث مختص بالقضية الفلسطينية.

التعريف وعوامل النشوء والتطور

يعرّف البعض السلفية الجهادية^١ بأنها تيار "يجمع بين الدعوة إلى التوحيد بشموليته والجهاد لأجل ذلك في آن واحد، أو قل هي تيار يسعى لتحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت، فهذه هي هوية التيار السلفي الجهادي".^٢

فالجهاد عند السلفية الجهادية هو السبيل لإعلاء كلمة الله وتغيير أنظمة الحكم "الكافرة" غير الشرعية، وتحرير البلاد المحتلة وتطبيق الشريعة، كما أن السلفية الجهادية ترفض أسس الحكم المعاصرة وتطبيقاتها المتعددة باعتبارها "كفراً"^٣، وتعتنق "الصيغة الأكثر جذرية لتسييس الدين، فتتعامل به كأيديولوجية صدامية لا تقف عند هدف استعادة النظام السياسي الإسلامي في

وتأسيس تنظيم القاعدة،^{١٧} وما واكب ذلك من تطورات كبرى مثل أحداث ١١ أيلول / سبتمبر والاحتلال الأميركي لأفغانستان والعراق و"الربيع العربي" ومآلاته العسيرة.

نشأة النسخة الفلسطينية من السلفية الجهادية

وصل الفكر السلفي إلى فلسطين في أواخر سبعينيات القرن الماضي، واجتهد في نشره مجموعة من طلبة الشريعة المتخرجين للتو من الجامعات السعودية،^{١٨} والذين نشطوا في بعض المساجد وأقاموا مجموعة من الجمعيات،^{١٩} في وقت ظهرت بوادر لفكر جهادي مع نشوء جماعة التكفير والهجرة وظهور الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال. وقد لاقت ترحيباً من بعض الشباب الفلسطيني المتدين، لكن عوامل كثيرة حالت دون استمرار التجربة، وفي طليعة تلك العوامل تبنيّ الإسلاميين الفلسطينيين خيار المقاومة، وتأسيس حركتيّ "الجهاد الإسلامي" و"حماس" اللتين سيطرتا على التيار الإسلامي وتوجهاته. وقد ظل السلفيون على هامش الحياة السياسية في فلسطين حتى اندلاع انتفاضة الأقصى في سنة ٢٠٠٠، حين أدت التطورات التي شهدتها فلسطين دوراً في ظهور السلفية الجهادية، مثل: انسحاب الاحتلال من قطاع غزة؛ دخول حركة "حماس" الانتخابات وتأليفها الحكومة؛ أحداث الانقسام والحصار والحرب على غزة؛ تراجع آمال التسوية؛ تصاعد الاستيطان في الضفة وعجز السلطة الفلسطينية عن مواجهة استحقاقات الحكم.

ويعود تأخر وصول السلفية الجهادية إلى فلسطين، إلى عدة أسباب منها ما امتازت به الحركة الوطنية الفلسطينية تاريخياً من

الوهابي السعودي بحيث لا يبقى من الأمة أو الجماعة المسلمة سوى دعاة السلفية الجهادية وأنصارها، فهم الوحيدون الذين ينطقون بالحق ويجسدون الشرعية.^{٢٠}

تعود جذور السلفية الجهادية إلى طبيعة البيئات الاجتماعية العربية في حقبة ما بعد الاستعمار، وإلى جملة الأوضاع المعقدة المحلية والإقليمية والدولية التي واجهتها الدولة القطرية الحديثة النشوء.

ويمكن التأريخ لبدية تبلور السلفية الجهادية مع شروع أنظمة الحكم العربية الحديثة في تبنيّ الحل الأمني في مواجهة معارضيها من الإسلاميين،^{٢١} في وقت تسربت فكرة التغيير العنيف إلى صفوف الإسلاميين بحكم قراءات خاصة للفكر الإسلامي أملت ثقافتهم الدينية وتجربتهم المريرة مع أدوات قمع السلطة، وجو عالمي يشرع التغيير الثوري والوصول إلى الحكم بالقوة.^{٢٢}

ولعل من أهم النتائج الفكرية التي أغنت السلفية الجهادية في بدايات نشوئها، تلك التي نحتتها توليفة جمعت في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته فكراً إسلامياً تغييرياً^{٢٣} هو نتاج المدرسة الإخوانية المصرية وتجاربها، والمدرسة السلفية بنسختها الخليجية.^{٢٤}

كانت تجربة الفلسطينيّين صالح سرية ومحمد سالم الرحال في مصر،^{٢٥} والسوري مروان حديد^{٢٦} في الشام، من الاختبارات الأولى للإسلاميين في مسألة التغيير العنيف، كما أدت مرحلة عبد الله عزام^{٢٧} في أفغانستان وتجربته مع "الأفغان العرب"^{٢٨} في ثمانينيات القرن الماضي دوراً محورياً في رقد السلفية الجهادية ببعض مقولاتها الأساسية وكوادرها الأوائل،^{٢٩} وخصوصاً بعد دخول الجهاديين المصريين الساحة الأفغانية،^{٣٠} واستمالتهم أسامة بن لادن^{٣١}

واضحة المعالم، إذ ليس لها تعبيراتها التنظيمية وفاعليتها المؤثرة وحاضنتها الشعبية.^{٢٤}

ويبدو أننا أمام مجموعات شبابية من الضفة محدودة العدد ومحلية النشاط^{٢٥} تفتقر إلى التجربة وتعاني الملاحقة، جمعها الافتتان بالفكر السلفي الجهادي، ومنحها الوضع الميداني في إبان انتفاضة الأقصى وما بعدها فرصة لاختبار قدراتها على الأرض، فنجحت في توسيع نشاطها "الجهادي الفردي" وتشكيل بعض الخلايا التي ما لبثت أن وقعت في قبضة الاحتلال.^{٢٦}

ومن المهم هنا الإشارة إلى عزوف هذه المجموعات عن القيام بأي نشاطات تستهدف مظاهر "الحداثة" الاجتماعية المنتشرة في رام الله وبعض مدن الضفة، إذ لم يصدر عنها محاولات جدية لضبط المجتمع على إيقاع أفكارها، الأمر الذي يدل على محدوديتها عدداً ونشاطاً.^{٢٧}

السلفية الجهادية في قطاع غزة

ساهم كثير من العوامل في دفع السلفية الجهادية في القطاع إلى الانتقال إلى مراحل متقدمة بخلاف نظيرتها في الضفة الغربية، وخصوصاً مع تبلور تنظيماتها وازدياد أعداد منتسبيها،^{٢٨} فقد دفع انسحاب الاحتلال من القطاع في سنة ٢٠٠٥ النقاش بشأن سؤال السلطة ومآلاتها لدى الإسلاميين إلى مستويات جديدة اقتربت من تجاوز الإطار النظري والدخول في مرحلة الاختبار العملي، إذ لاقى خطاب السلفيين الجهاديين المخالف لتوجهات حركة "حماس" في تلك المرحلة رواجاً بين فئات شبابية متعددة، عززته التطورات الميدانية بما فيها الصراع الـ"فتحراوي" - الـ"حمساوي"، وحالة الفلتان الأمني التي عاشها القطاع في تلك الفترة.

فاعلية وحضور لثراء تجربتها، ولإمساكها بكثير من مفاصل القوة داخل المجتمع. وكان لقوة الحركة الإسلامية الفلسطينية^{٢٩} وتجذرها داخل المجتمع أثرهما الملحوظ في الحد من امتداد السلفية الجهادية، فقد تمكنت من استيعاب الطاقات الشبابية المتدينة التواقّة إلى العمل المقاوم، وخصوصاً في إبان الانتفاضتين، كما نجحت في إدارة حوار جاد مع الإسلاميين الشباب ممّن تأثروا بنوازع سلفية جهادية، وقد تمت أغلبية النقاشات في المساجد والسجون والجامعات. وأدى الاحتلال الإسرائيلي دوراً في تأخير وصول السلفية الجهادية إلى فلسطين بحكم سيطرته المحكمة على الحدود وإجراءاته القمعية بحق الفلسطينيين، وعرقلة إقامة دولة فلسطينية مستقلة قد يشكل نظامها السياسي وأداء مؤسساتها فرصة لانتشار أفكار السلفية الجهادية.

السلفية الجهادية في

الضفة الغربية

أدى إعلان سلطات الاحتلال الإسرائيلي اكتشاف مجموعات سلفية^{٣٠} في الضفة الغربية حاولت تنفيذ هجمات ضدها، إلى تصاعد الحديث عن وجود مادي للسلفية الجهادية، واكتسب الأمر زخماً إضافياً حين لاحقت قوات الاحتلال خلية سلفية جنوبي جبل الخليل واشتبكت معها وقتلت أفرادها.^{٣١} كما نفذت الأجهزة الأمنية الفلسطينية حملات اعتقال ضد عناصر سلفية جهادية في عدة مناسبات، ولا يزال بعض هذه العناصر معتقلاً في سجونها.^{٣٢} وعلى الرغم من أن الأحداث أعلاه تشير إلى شروع مجموعات سلفية جهادية، وإن على استحياء، في مغادرة مربع الفكر إلى أرض الفعل، فإنها ما زالت ظاهرة غير

يمكن أن يرفدوها بالخبرة، وبموقف الحكومة الفلسطينية الصارم تجاه تصرفاتها.^{٣٢} ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أنه على الرغم من سيولة الحالة السياسية في المنطقة العربية منذ سنة ٢٠١١ وما توفره من أجواء داعمة لتمدد السلفية الجهادية في القطاع،^{٣٣} فإن العامل الأهم في تحديد مستقبلها يكمن في موقف حركة "حماس" وخياراتها تجاه القطاع، فضلاً عن التطورات السياسية المحتملة، وخصوصاً فيما يتعلق بالاحتلال والجانب المصري.

وثمة خمس تشكيلات سلفية جهادية رئيسية في قطاع غزة، ومجموعات أخرى أصغر منها حجماً وتأثيراً، هي:

١ - جيش الإسلام: تعود جذوره إلى أواخر سنة ٢٠٠٥ حين بادرت مجموعة من "لجان المقاومة الشعبية" إلى تشكيله.^{٣٤} وقد صدر بيانه التأسيسي بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٨ قبل مشاركته في عملية اختطاف الجندي الإسرائيلي غلعاد شاليط على تخوم غزة،^{٣٥} وأعلن موالاته لتنظيم القاعدة، وتزعمه الضابط السابق في الأمن الوقائي الفلسطيني ممتاز دغمش الذي ربطته علاقة بأحمد مظلوم الملقب بخطاب المقدسي،^{٣٦} وقد تمكن التنظيم من حشد عدد من الأتباع قُدّر من قبل بعض المصادر ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ عنصر.^{٣٧}

نقذ جيش الإسلام بعض الهجمات على المؤسسات الإعلامية الغربية، فاحتجز صحافيين تابعين لوكالة "فوكس نيوز" الأميركية لأسبوعين تقريباً، مطالباً بإطلاق سراح سجناء مسلمين في سجون الولايات المتحدة، ثم قام باحتجاز مراسل الـ "بي. بي. سي." في غزة، ألن جونستون، في آذار/ مارس ٢٠٠٧،^{٣٨} وطالب بإطلاق سراح أبو قتادة الفلسطيني، ويُعتقد أنه نقذ هجمات أخرى على مقر جمعية الشبان المسيحية والمدرسة الأميركية في غزة، وعلى قيادات

واستغلت تنظيمات السلفية الجهادية تلك الأوضاع لاستقطاب أعداد من أعضاء حركة "حماس" وجناحها العسكري، حتى إن بعض قادة السلفية الجهادية توقع أن يستمر استنزاف "حماس"، وأن تخسر مزيداً من أعضائها ومناصريها، فدعا إلى عدم التورط في مواجهتها ميدانياً.^{٣٩}

ودفع الحصار الخانق الذي فرضه الاحتلال على القطاع، وما واكبه من ارتفاع معدلات البطالة ونقص المواد الأساسية وتراجع مستوى الخدمات العامة، إلى انتشار الإحساس بالإحباط وفقدان الأمل لدى قطاعات شبابية متعددة، الأمر الذي عزز نظرتهم السلبية إلى واقعهم، وتركهم فريسة لأفكار السلفية الجهادية الصدامية والحادية. كما كان للجغرافيا حضورها أيضاً، إذ شكل وقوع قطاع غزة على حدود سيناء التي ينشط في داخلها تيار سلفي جهادي قوي، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية معها، عاملاً آخر في تعزيز وجود السلفية الجهادية في القطاع.

ولا بد من الإشارة إلى أن التركيبة الاجتماعية في القطاع سمحت في بعض الأحيان بتمدد السلفية الجهادية التي التحمت مع بعض الهياكل الاجتماعية، كما سنرى لاحقاً.

وفي المقابل، يبدو الحديث عن السلفية الجهادية باعتبارها حالة مستقرة ومستمرة لها وزنها الداخلي وارتباطاتها الخارجية مثار تساؤل،^{٤٠} ليس فقط بحكم سرعة تشكل تنظيماتها واختفائها، ولا لسهولة انتقال أفرادها من وإلى التنظيمات الأخرى، وقلة عدد منتسبيها مقارنة بالفصائل الرئيسية، بل أيضاً لارتباط تشكلها بأجندات كبرى الفصائل الفلسطينية، وبنفوذ ومصالح العائلات، وبوجود عدد قليل من عناصر السلفية الجهادية القادمة من الخارج^{٤١} الذين

وقد تراجع حضور التنظيم كثيراً بعد تلك الحادثة.^{٥٠}

٣ - جيش الأمة - أهل السنة والجماعة:
ظهر في حزيران / يونيو ٢٠٠٧،^{٥١} واستقطب عدداً من الأنصار في مدن خان يونس ورفح وبيت لاهيا،^{٥٢} وقد دشّن بداياته بإطلاق ثلاثة صواريخ على بلدات إسرائيلية في جنوب فلسطين المحتلة.^{٥٣}
وكان لجيش الأمة مشاركة متواضعة في إبان الحرب على غزة في ٢٠٠٨. ٢٠٠٩، وعلى الرغم من تأكيده عدم استخدام العنف في التغيير داخل المجتمع، فإنه أعرب عن تطلعاته بتهديد المصالح الغربية حين أعلن في مؤتمر صحافي في سنة ٢٠٠٨ نيته استهداف الرئيس الأميركي جورج بوش (الابن) في أثناء زيارة كان ينوي القيام بها للمنطقة.^{٥٤}

٤ - جلجالت: اسم أطلقه الغزيون على مجموعات عسكرية تتبع نهج السلفية الجهادية، ويُعتبر محمود محمد طالب (أبو المعتصم) الناشط السابق في حركة "حماس"، أحد أهم قادتها.^{٥٥} ويُعتقد أن جلجالت ظهرت إلى العلن في حزيران / يونيو ٢٠٠٧، وتختلف التقديرات بشأن عدد عناصرها، ويشير بعض المصادر إلى أنها تضم ما لا يزيد عن ٧٠٠ مقاتل.^{٥٦} ويُعتقد أن جلجالت تواصلت مع أبو الليث الليبي أحد قادة القاعدة في أفغانستان،^{٥٧} لكنها لم تنضم إليها ولا إلى أي من تفرعاتها خارج فلسطين.^{٥٨}
نفذت جلجالت عدداً من العمليات ضد الاحتلال، كان من أبرزها العملية التفجيرية في أوائل سنة ٢٠٠٩، بوضع ٣ عبوات ناسفة لاستهداف دورية إسرائيلية، كما حاولت استهداف موكبي الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر ورئيس الحكومة البريطانية السابق توني بلير، اللذين كانا في زيارتين منفصلتين لغزة، ويُنسب إليها أيضاً تفجير

حمساوية، وقد أسفرت هذه الهجمات عن مقتل عدد من أفراد كتائب القسام.^{٥٩}
تراجعت مكانة جيش الإسلام بعد قيام الحكومة في غزة بمحاصرة عائلة دغمش في جنوبي مدينة غزة في تموز / يوليو ٢٠٠٧، والاشتباك مع عناصر من جيش الإسلام ومصادرة أسلحتهم،^{٦٠} وصدرت منذ ذلك التاريخ تصريحات من قادة جيش الإسلام تنفي علاقتهم بالقاعدة.^{٦١} ويُتهم جيش الإسلام بأنه استمر في استهداف مؤسسات أجنبية في القطاع منها الهجوم على قافلة للصليب الأحمر الدولي في شباط / فبراير ٢٠١٠،^{٦٢} ونسج علاقات مع جهاديين من مصر.^{٦٣}

٢ - جند أنصار الله: ظهر هذا التنظيم إلى العلن في أواخر سنة ٢٠٠٨، ويُعتبر عبد اللطيف موسى^{٦٤} الأب الروحي للتنظيم ومفتيه، وخالد بنات^{٦٥} أميره ومسؤوله العسكري.

نشط التنظيم في مدينتي خان يونس ورفح، وقُدّر عدد عناصره بـ ٢٠٠ - ٦٣٠٠^{٦٦} عنصر تقريباً، يضاف إليهم عدد من الأجانب.^{٦٧} وقد بدأ التنظيم باختبار قدراته عبر هجمات ضد الاحتلال، ثم توترت علاقاته بحركة "حماس"، وخصوصاً عندما طلبت منه الأخيرة العون في إبان حرب ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩، فرفض بحجة الموقف الفكري من "حماس"، كما اتُّهم بمهاجمة أملاك للمواطنين ومنهم شخصيات من حركة "فتح".^{٦٨}

وتُعتبر حادثة مسجد ابن تيمية في مدينة رفح نقطة التحول الكبرى في العلاقة مع الحكومة وحركة "حماس"، حين أعلن الشيخ عبد اللطيف موسى إقامة إمارته الإسلامية في رفح في سنة ٢٠٠٩، فما كان من القوات التابعة لحكومة "حماس" إلا محاصرة المسجد والاشتباك مع المعتصمين في داخله، الأمر الذي أدى إلى مقتل موسى وبنات،^{٦٩}

مع الاحتلال، ورغبتها في التخفيف من حدة الهجمة الإعلامية التي شنتها قادة القاعدة على الحركة اعتراضاً على سلوكها السياسي، وإيصال رسائل للأطراف الدولية بأن لديها القدرة على السيطرة على القطاع واحتواء تياراته السياسية المتطرفة،^{٦٤} كما كانت تنظيمات السلفية الجهادية بحاجة إلى نسج تحالفات مع قوى مركزية في القطاع تستفيد من خبراتها الميدانية وغطائها السياسي.

وقد اتسمت بـ "التفاهم الحذر" العلاقة بين السلفية الجهادية و"حماس" بعد الانتخابات التشريعية وتأليف الحكومة وما واكبها من سيطرة "حماس" على القطاع في أواسط سنة ٢٠٠٧، "حيث رحبت تنظيمات السلفية الجهادية بسيطرة حماس على غزة أواسط ٢٠٠٧، فيما كافأته حماس بتعاطف حنون، وصل حدود التسامح مع التدريب والتجنيد، وعُبر عنه بحلف الجنتلمان غير المكتوب بينهما".^{٦٥}

لكن تصاعد الانتقادات الشديدة الصادرة عن السلفية الجهادية تجاه ممارسات حركة "حماس" السياسية ومنطلقاتها الفكرية عكّر صفو العلاقة كثيراً، فبدأت السلفية الجهادية بانتقاد "حماس" لمشاركتها في الانتخابات وتأليفها الحكومة، وكالت لها بعض التهم مثل التلكؤ في تطبيق الشريعة وإقامة الحدود، والاعتراف بـ "إسرائيل"، واحترام القوانين الدولية، وإقامة علاقات "مشبوهة" مع الأنظمة العربية.^{٦٦}

كما بدأت تثير قلق الحكومة في غزة ممارسات السلفية الجهادية الميدانية المخلة بالأمن العام عبر مهاجمة أملاك المواطنين العامة بحجة مخالفتها الآداب العامة، واستهداف مصالح غربية في القطاع كبعثات الصليب الأحمر والأمم المتحدة والمراسلين الأجانب،^{٦٧} ونسف التهدة مع الاحتلال بإطلاق صواريخ وقذائف في اتجاه بلداته

العشرات من مقاهي الإنترنت،^{٦٩} وكذلك تفجير منزل مروان أبو راس، أحد نواب المجلس التشريعي عن حركة "حماس"، ومقر أمن حكومي في رفح.^{٦٠} وقد اعتُقل قائدها في شباط / فبراير ٢٠١٠.^{٦١}

٥ - **سيوف الحق**: ظهرت هذه المجموعة بعد سيطرة "حماس" عسكرياً على قطاع غزة في سنة ٢٠٠٧، ويقودها أبو صهيب المقدسي الذي ترك حركة "حماس" احتجاجاً على مشاركتها في الانتخابات التشريعية. وترتكز وجود المجموعة في بيت حانون، وانخرطت في هجمات ضد مقاهي الإنترنت ومحلات الموسيقى ومقر فضائية "العربية" وغيرها، وقد اتهمها بعض المصادر بوقوفها في سنة ٢٠٠٧ وراء اغتيال مسؤول الأمن الفلسطيني جاد تايه، بتهمة العمالة للموساد الإسرائيلي.^{٦٢}

٦ - **جماعات أخرى**: ظهرت أيضاً بيانات لعدة جماعات سلفية غير معروفة، مثل: تنظيم "جند الله"؛ "الجهة الإسلامية لتحرير فلسطين"؛ "أبناء أهل السنة والجماعة"؛ "جحافل التوحيد والجهاد"؛ "جيش القدس الإسلامي"؛ "قاعدة جهاد ولاية فلسطين الإسلامية"؛ "فتح الإسلام"؛ "عصبة الأنصار".^{٦٣}

"حماس" والسلفية الجهادية في القطاع: العلاقات والمآلات

أدى المعطى السياسي بواقعيته وتقلباته، والبنى الأيديولوجية بمحدداتها، دوراً محورياً في تحديد طبيعة العلاقة بين حركة "حماس" وتنظيمات السلفية الجهادية في قطاع غزة، فقد ظهرت السلفية الجهادية في فترة ضاغطة على "حماس" التي كانت بحاجة إلى توسيع تحالفاتها السياسية لمواجهة خصومها في الداخل، وتحمل تبعات المواجهة الساخنة

الجنوبية، ثم تحدي الحكومة بشكل مباشر عبر استهداف مقرّها وبعض رموزها وكوادرها، وإعلان إقامة إمارة إسلامية في القطاع. وقد تحركت الحكومة في غزة ضد السلفية الجهادية عبر وسيلتين، كان الحل الأمني إحداها، فاعتقلت ناشطيهما، وصادرت أسلحتهم وأموالهم وفرضت حجزاً على أملاكهم،^{٦٨} لكنها في الوقت ذاته عقدت حواراً فكرياً جاداً معها، ونفذت حملات توعية دينية وفكرية قادها مشايخ وعلماء شريعة وأساتذة فكر استهدفت تقويض ركائز الفكر السلفي الجهادي، وتوضيح سلوك الحكومة وحركة "حماس" ومواقفهما.

ويبدو أن سياسات الحكومة تجاه تنظيمات السلفية الجهادية نجحت، وظهر ذلك جلياً في تراجع نفوذ تلك التنظيمات بشكل كبير، واختفاء كثير منها، أمّا الذي بقي منها موجوداً فأثر ألاّ يجازف بتحدي سلطة "حماس".

خاتمة

وصلت السلفية الجهادية إلى فلسطين في وقت متأخر، وساهم العديد من الأوضاع في رفع أسهمها، وخصوصاً في الفترة ما بين

لكن الصدام المباشر مع حركة "حماس" أدى إلى إضعاف السلفية الجهادية، فاخفت أكثر تنظيماًتها في غزة، كما أنها في الضفة الغربية عجزت عن تقديم نموذج متميز في المقاومة، فاستهدف الاحتلال خلاياها بسهولة. وقدّمت السلفية الجهادية أيضاً مشاركة متواضعة جداً في ثلاث حروب دامية خاضها القطاع منذ سنة ٢٠٠٨، الأمر الذي أكد هامشيتها في المشهد السياسي الفلسطيني.^{٦٩}

ومع ذلك فإن من الصعب التكهّن باختفائها نهائياً، ذلك بأن بعض عوامل بقائها موجود، وتحديدات تلك المتعلقة بارتدادات الصراعات المسلحة التي تشهدنا المنطقة حولنا، وبتناجج المواجهة مع الاحتلال. ■

المصادر

١ تُعتبر دراسة خالد الحروب بشأن تشكيلات السلفية في فلسطين، والتي تناول في جزء منها السلفية الجهادية، دراسة تأسيسية تناولت الظاهرة بعمق. انظر:

Khaled Hroub, "Salafi Formations in Palestine and the Limits of a De- Palestinised Milieu", *Holy Land Studies: A Multidisciplinary Journal*, volume 7, issue 2 (On line: November 2008), p. 159, through the link: <http://www.eupublishing.com/doi/abs/10.3366/E1474947508000206>

وقد تبعتها عدد قليل من التقارير والمقالات منها:

International Crisis Group, "Radical Islam In Gaza", *Middle East Report*, no.104, 29 March 2011, p. 18, <http://www.crisisgroup.org/~media/Files/Middle%20East%20North%20Africa/Israel%20Palestine/104%20Radical%20Islam%20in%20Gaza%20-%20ARA-BIC.pdf>

ومقالة عدنان أبو عامر بعنوان "كيف خرج السلفيون الجهاديون من عباءة حماس" نشرها معهد العربية للدراسات والتدريب في كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٢، انظر: <http://www.alarabiya.net/articles/2012/11/12/249146.html>

ومقالة مشتركة كتبها ليهي بن شطريت ومحمود جرابعة بعنوان "التهديد الجهادي في الضفة الغربية" وصدرت عن مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي في شباط / فبراير ٢٠١٤، ويمكن الاطلاع على ملخص الدراسة بالعربية، وعلى الدراسة كاملة بالإنجليزية، في موقع المؤسسة في الرابط الإلكتروني التالي: <http://carnegie-mec.org/publications/?fa=54454>

وهناك عدد من المقالات والتقارير الصحافية الغربية والعربية التي امتازت بارتباطها بدوائر سياسية غربية، والتي تدور في فلك "الحرب الدولية" على "الإرهاب الإسلامي"، وباعتمادها على إصدارات المؤسسات الإسرائيلية، ويكونها أسيرة انطباعات مؤلفيها.

ولمزيد من التفاصيل بشأن السلفية الجهادية مفهوماً وتجربة، انظر: أكرم حجازي، "دراسات في السلفية الجهادية" (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٣). وانظر أيضاً: الموقع الإلكتروني للسلفية الجهادية - "منبر التوحيد والجهاد":

<http://www.tawhed.ws/>

٢ حوار مع أبو محمد المقدسي، أحد أهم منظري السلفية الجهادية، أجراه معه مندوب مجلة "العصر" الإلكترونية وصحيفة "المرأة"، ونُشر في صفحته في موقع "منبر التوحيد والجهاد" الإلكتروني، في الرابط التالي:

<http://www.tawhed.ws/r?i=j37307wg>

٣ لتسليط مزيد من الضوء على القواعد المفاهيمية للسلفية الجهادية، انظر: أكرم حجازي، "مسائل جوهرية في فكر السلفية الجهادية - من التوحيد إلى صناعة القيادة"، في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.almaqreze.net/munawaat/Salafya.doc>

٤ حوار مع الكاتب عبد اللطيف الهرماسي أجراه ونشره الموقع الإلكتروني "سويس إنفو"، في الرابط التالي:

<http://www.swissinfo.ch/ara/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A---%D8%A7%D9%84%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D8%AF/6236608>

- ٥ Ibid.
- ٦ نحت الدولة القطرية الحديثة منحى شمولياً في نظرتها إلى دورها وإلى المجتمع، ومارست استبداداً منع ظهور معارضة فاعلة داخل المجتمعات العربية سواء أكانت إسلامية أم علمانية.
- ٧ هنالك عوامل أخرى محلية وإقليمية ودولية، لكننا اكتفينا هنا بذكر بعضها.
- ٨ بُني أساساً على مساهمات سيد قطب.
- ٩ بشأن أهمية التقاء الكوادر الإخوانية الهاربة من مصر في إبان الحقبة الناصرية، مثل محمد قطب وكمال السنانيري وغيرهما، بمشايع المدرسة السلفية الخليجية، والمساهمات الفكرية والعملية التي أنتجت لاحقاً السلفية الجهادية، انظر: حازم الأمين، "السلفي اليتيم: الوجه الفلسطيني لـ الجهاد العالمي والقاعدة" (بيروت: دار الساقي، ٢٠١١)، ص ٤٠ - ٤٩.
- ١٠ لمزيد من التفاصيل فيما يتعلق بتجربتي صالح سرية ومحمد سالم الرحال، انظر: المصدر نفسه، ص ٢١ - ٣٦.
- ١١ لمزيد من التفاصيل بشأن تجربة مروان حديد، انظر: حمزة المصطفى، "جبهة النصره لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام"، في الرابط الإلكتروني التالي:
<http://www.dohainstitute.org/release/331736fa-9bc7-4e05-a232-2ed07f9c1cd2>
- ١٢ بشأن سيرة عبد الله عزام في أفغانستان، انظر: المستشار عبد الله العقيل، "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" (القاهرة: دار البشير، ط ٧، ٢٠٠٨)، ص ٥٤١ - ٥٥٢.
- ١٣ فيما يتعلق بتجربة "الأفغان العرب" في أفغانستان في إبان الاحتلال السوفياتي لها، انظر: عبد الله أنس، "ولادة الأفغان العرب: سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام" (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢).
- ١٤ يرى بعض الكتاب مثل حسن الأمين وعبد الله أنس أن عبد الله عزام لم يكن راضياً عن التحولات التي شهدتها الساحة الأفغانية بعد الانسحاب السوفياتي منها، وخصوصاً مع انتشار أفكار الجهاد العالمي وصوبية التغيير العنيف داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وأنه طالب المجاهدين العرب بالعودة إلى ديارهم لأن مهمتهم انتهت، في الوقت الذي بدأ يتبلور في ذهنه مشروع عملي خاص بتحرير فلسطين.
- ١٥ أيمن الظواهري ومجموعته.
- ١٦ بشأن حياة بن لادن وتجربته الجهادية، انظر: خالد خليل أسعد، "مقاتل من مكة: القصة الكاملة لأسامة بن لادن" (لندن: الإعلام للدراسات والنشر، ٢٠٠٠).
- ١٧ فيما يتعلق بنشأة وصعود تنظيم القاعدة، انظر: فواز جرجس، "القاعدة: الصعود والأفول - تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢). وأيضاً:
Abdel Bari Atwan, *The Secret History of al-Qa'ida* (London: al Saqi Books, 2006).
- ١٨ يرى خالد الحروب أن ظهور السلفية في فلسطين جاء في إطار التنافس السعودي - الإيراني، وخصوصاً بعد قيام الثورة الإيرانية، انظر:

Hroub, op.cit., p. 159.

Ibid. ١٩

- ٢٠ تحديداً حركة "حماس".
- ٢١ شرع الاحتلال، بعيد اندلاع انتفاضة الأقصى، يعلن . في فترات متباعدة زمنياً . اكتشاف خلايا تابعة للسلفية الجهادية حاولت تنفيذ هجمات ضده، منها مثلاً، خلية في نابلس أعلن القاء القبض عليها في سنة ٢٠٠٥، وأخرى في القدس في سنة ٢٠١٤. ولمزيد من المعلومات بشأن هاتين الخليتين، انظر: الموقع الإلكتروني لصحيفة "الحياة الجديدة" في الرابط التالي:
<http://www.alhayat-j.com/details.php?opt=3&id=21445>
- وكذلك صحيفة "القدس العربي"، في الرابط الإلكتروني التالي: <http://www.alquds.co.uk/?p=125981>
- ٢٢ بشأن خلية يطأ واستشهاد ثلاثة من أعضائها، انظر موقع "وكالة وطن للأخبار"، في الرابط الإلكتروني التالي:
<http://wattan.tv/ar/news/80711.html>
- Ibid. ٢٣
- ٢٤ يرى بعض الكتّاب الفلسطينيين أن ظاهرة السلفية الجهادية في الضفة الغربية تتراوح بين الأذوبة والاختراع الإعلامي والمحدودية، وأن الأمر لا يتعدى انتماء بعض الشبان الفلسطينيين إلى السلفية الجهادية فكراً من دون ممارسة. ولمزيد من تسليط الأضواء على هذه الآراء، انظر على سبيل المثال: أحمد جميل عزم، "الباحثون عن السلفية الجهادية في فلسطين"، في موقع "وكالة وطن للأخبار" <http://www.wattan.tv/ar/news/86754.html>: وطن للأخبار" في الرابط الإلكتروني التالي وانظر أيضاً: ياسين عز الدين، "أذوبة السلفية الجهادية في الضفة"، مدونة "شباب من أجل فلسطين"، في الرابط الإلكتروني التالي:
http://yaseenizeddeen.blogspot.com/2013/11/blog-post_30.html
- وأيضاً: "السلفية الجهادية بالضفة.. بين حقيقة الوجود والتهويل"، موقع "المركز الفلسطيني للإعلام"، في الرابط الإلكتروني التالي:
<https://www.palinfo.com/site/PIC/newsdetails.aspx?itemid=144445>
- ٢٥ شطريت وجرابعة، مصدر سبق ذكره.
- ٢٦ يرى كل من شطريت وجرابعة أن محاولات السلطة الفلسطينية تحجيم حركة "حماس" في الضفة دفع بعض شبابها إلى اللجوء إلى السلفية الجهادية كبديل للعمل.
- ٢٧ قاد الاحتجاج على بعض مظاهر "الحداثة" الاجتماعية في رام الله وقراها قطاعات مجتمعية ليست بالضرورة متدينة، فعلى سبيل المثال دفعت ضغوط مجتمعية متزايدة الشرطة الفلسطينية إلى إغلاق مرقص وحانة بيت أنيسة في رام الله، كما قام شبان غاضبون (ليسوا سلفيين جهاديين) بإحراق مطعمين في بلدة بير زيت بحجة أن ممارسات لا أخلاقية تتم داخلهما، وهناك بعض الأحداث المشابهة في قرى الضفة ومخيماتها.
- ٢٨ يوجد تضارب في المصادر بشأن عدد المنتمين إلى تنظيمات السلفية الجهادية في القطاع وذلك لسريتها، وبعدها عن المشاركة في الحيز العام (مؤسسات؛ نقابات؛ جمعيات..إلخ). ونظراً إلى طبيعتها الصدامية، فإن مستوى أدائها في المواجهات مع الحكومة الفلسطينية من جهة، والاحتلال من جهة أخرى، ربما يعطي مؤشراً إلى كبر حجمها أو صغره.

Warren Marshall, "Al-Qaeda in Gaza: Isolating 'the Base'", *Journal of Terrorism Research*, volume 1, issue 1 (2011), p. 57, through the link:

<http://ojs.st-andrews.ac.uk/index.php/jtr/article/view/167>

٣٠ هنالك العديد من الأعلام الرصينة التي تضع علامات استفهام على حجم السلفية الجهادية في القطاع. انظر: يزيد صايغ، "ثلاث سنوات من حكم حماس في غزة"، تقرير صادر عن مركز كراون لدراسات الشرق الأوسط - جامعة برانديز، ترجمة مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٠). ويمكن قراءة النسخة الإلكترونية في الرابط التالي: http://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/TransZ/Hamas_Rule_Gaza_53.pdf

كما فند آخرون ادعاء ارتباطاتها العملية بتنظيم القاعدة، انظر:

Benedetta Berti, "Jihadi Activism in Gaza: Mapping the Threat", *CTC Sentinel*, may 2010, vol 3, issue 5, through the link:

<https://www.ctc.usma.edu/v2/wp-content/uploads/2010/08/CTCSentinel-Vol3Iss5-art2.pdf>

٣١ يشير تقرير مجموعة الأزمات الدولية إلى أن عدد عناصر السلفية الجهادية القادمين من الخارج لا يتجاوز أصابع اليد، في حين أن أكبر رقم ذكره التقرير نفسه يتراوح ما بين ٣٠ و ٥٠ عنصراً. ولمزيد من التفاصيل بشأن الموضوع، انظر:

International Crisis Group, op.cit., p. 18.

٣٢ نشرت الصحف الفلسطينية العديد من التقارير بشأن استهداف الحكومة في غزة تنظيمات السلفية الجهادية. على سبيل المثال، انظر: "حماس تكثف حملتها ضد الجماعات السلفية"، "الأيام" (رام الله)، ١٧ / ٩ / ٢٠١٢.

٣٣ ماجد عزام، "السلفية في فلسطين: الخلفيات، الواقع والآفاق" (تقرير)، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، شباط / فبراير ٢٠١٣)، في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://studies.aljazeera.net/reports/2013/02/2013220113456799277.htm>

International Crisis Group, op.cit., p. 8. ٣٤

٣٥ أبو عامر، مصدر سبق ذكره.

٣٦ يُعتبر خطاب المقدسي أحد رموز السلفية الجهادية القلائل الذين شاركوا في الجهاد في أفغانستان، وله علاقات وطيدة بالقاعدة.

International Crisis Group, op.cit., p 15. ٣٧

٣٨ يشير الكاتب Warren Marshall في دراسته المذكورة أعلاه، إلى أن حركة "حماس" اضطرت إلى منح "جيش الإسلام" ٥ ملايين دولار ومليون طلقة كلاشنكوف في مقابل إطلاق الصحافي ألن جونستون.

٣٩ لمزيد من التفاصيل بشأن الهجمات التي نفذها "جيش الإسلام" ضد مصالح غربية في غزة، وضد أملاك للأقلية المسيحية فيها، وقيادات وكوادر من حركة "حماس"، ومقاهي إنترنت، انظر:

International Crisis Group, op.cit., pp. 9-11.

- ٤٠ يحوي تقرير مجموعة الأزمات الدولية المشار اليه أعلاه، تفصيلات عن مهاجمة عناصر أمن حكومة "حماس" لعائلة دغمش، وإخضاع عناصر "جيش الإسلام".
- ٤١ يرى بعض المحللين أن دوافع تأسيس "جيش الإسلام" تكمن في تعزيز نفوذ عائلة دغمش، وسعي خصوم حركة "حماس" لإفشال تجربة حكمها. لمزيد من التفاصيل انظر:
Hroub, op.cit., pp. 157-181.
- ٤٢ International Crisis Group, op.cit., p. 10.
- ٤٣ Berti, op.cit. p. 6.
- ٤٤ هو المدير العام لدار الحديث والسنة، وهي من المؤسسات السلفية العريقة في قطاع غزة، ويدّعي البعض أنه أقام علاقات جيدة مع السلطة الفلسطينية قبل سنة ٢٠٠٦.
- ٤٥ يُعتبر خالد بنات، أو أبو عبد الله السوري، أو أبو عبد الله المهاجر، من المقاتلين القلائل في غزة الذين قدموا من الخارج في سنة ٢٠٠٦ من أجل دعم المجهود العسكري لحركة "حماس". وقد أدت خبرته القتالية في الخارج، وكبر سنه مقارنة بباقي السلفيين الجهاديين، ومخزونه المالي، وعلاقاته مع القسام، دوراً رئيسياً في استمالة كثيرين إلى صفوف جند أنصار الله.
- ٤٦ International Crisis Group, op.cit., p. 15.
- ٤٧ Berti, op.cit., p. 8.
- ٤٨ International Crisis Group, op.cit., p. 12.
- ٤٩ هنالك رواية أوردها تقرير مجموعة الأزمات الدولية المذكور أعلاه، وفحواها أن عبد اللطيف موسى طلب في اللحظات الأخيرة الاستسلام، وناشد قوات الحكومة مساعدته، لكن رفيقه بنات فجّر نفسه فقتل هو وزميله.
- ٥٠ International Crisis Group, op.cit., p. 13.
- ٥١ بشأن أفكار جيش الأمة ومواقفه، انظر: حسن جبر، "جيش الأمة: هل هو النسخة الفلسطينية من تنظيم القاعدة؟" صحيفة "الأيام" (رام الله)، ١٢ / ١ / ٢٠٠٨.
- ٥٢ International Crisis Group, op.cit., p. 15.
- ٥٣ فيما يتعلق بنشاطات تنظيم جيش الأمة، انظر: صحيفة "الأيام" (رام الله)، ٢ / ٩ / ٢٠٠٨.
- ٥٤ Berti, op.cit., p. 7.
- ٥٥ حسن جابر، "جلجلت تنتظر عملية كبيرة لمبايعة بن لادن"، "الأيام" (رام الله)، ١١ / ٧ / ٢٠٠٩.
- ٥٦ انظر: Berti, op.cit., p. 8.
- لكن بعض الدراسات والتقارير المعتمدة على مصادر أمنية فلسطينية تابعة للسلطة في رام الله، وأخرى تابعة لتلك التنظيمات، أشار إلى أعداد من المنتسبين أكبر من المذكورة أعلاه، لكن من الصعب تأكيد هذا الأمر. على سبيل المثال، انظر: صايغ، مصدر سبق ذكره، ص ٧.
- ٥٧ Marshall, op.cit., p. 58.
- ٥٨ Ibid.
- ٥٩ أبو عامر، مصدر سبق ذكره.
- ٦٠ Berti, op.cit., p. 8.

٦١ صايغ ، مصدر سبق ذكره.

Berti, op.cit., p. 8. ٦٢

أبو عامر، مصدر سبق ذكره. ٦٣

المصدر نفسه. ٦٤

المصدر نفسه. ٦٥

المصدر نفسه ٦٦

٦٧ لمزيد من التفاصيل بشأن الهجمات التي نفذتها السلفية الجهادية في غزة بحق المواطنين وأملاكهم، وتحديدًا في سنة ٢٠٠٧، انظر: أشرف العجرمي، "الفلتان الأمني في غزة: حرب جديدة على الثقافة"، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٧٠ (ربيع ٢٠٠٧)، ص ٦١ - ٦٥.

٦٨ استمرت الحكومة في غزة في التعامل الأمني مع السلفية الجهادية حتى وقت قريب، فقد نشرت صحيفة "الشرق الأوسط" مقابلة مع قيادي في السلفية الجهادية في قطاع غزة في سنة ٢٠١٢، اتهم فيها الحكومة بالاستمرار في حملة الاعتقالات بحق مقاتليها بحجة إطلاقهم صواريخ في اتجاه البلدات الإسرائيلية الجنوبية. ولمزيد من التفاصيل بشأن الموضوع، انظر: صحيفة "الشرق الأوسط"، ٩ / ٤ / ٢٠١٣، في الرابط الإلكتروني التالي:

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12551&article=723932&feature=#.U9_B5vmSzQJ

٦٩ خلص بعض الباحثين إلى هذه النتيجة بعد فترة وجيزة من ظهور السلفية الجهادية وتشكيلاتها العسكرية، ومنهم خالد الحروب الذي أشار إلى ذلك في دراسته المذكورة أعلاه. انظر: Hroub, op.cit.

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

الدوريات الفلسطينية الصادرة في لبنان

٢٠١٤ - ١٩٤٨

دراسة بيبليوغرافية

أحمد طالب

١٦٥ صفحة ١٠ دولارات